جامعة عين شمس
كلية الآداب
إدارة الدراسات العليا

بحث بعنوان

أدوات التشبيه في صحيح البخاري
دراسة تحليلية بلاغية

إعداد الباحث

الحبيب محمد عبد اللّٰه الموفق

مقدمة

بعث النبي صلي الله عليه و سلم الي الناس كافة مبشرا و نذيرا , فادي الامانة و بلغ الرسالة, و قد وجهه القران الكريم الي اسرار نجاح الدعوة , و ارشده الي اساليب الاقناع و الاستمالة , قال تعالي " ادع الي سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة " ([1]) و جادلهم بالتي هي احسن و لعل من الحكمة التي امتاز بها و تميز بها النبي الكريم , البلاغة و الفصاحة , و قد خاطب اول ما خاطب قوما " اكبر صناعتهم الكلام " ([2])

و من الاساليب البلاغية الرائعة التي استخدمها الخطاب النبوي " كغيره من اساليب القول و فنونه جيئ به ليؤدي رسالة ذات اثر , و ليحقق اغراضه النفسية و النفيسة , و الرسول صلي الله عليه وسلم الذي فضل بجوامع الكلم كان لاسلوب التشبيه و التمثيل في حديثه الاثر الطيب , حثا علي فضله و ترغيبا في خير , او تحذيرا من رذيلة , و تنفيرا من شر " ([3])

و لما يمثله التشبيه من اهمية في حديث الرسول الكريم جاءت هذه الدراسة المتواضعة لالقاء الاضواء علي ما يتميز به هذا الفن من خلال الاحاديث تضمنها صحيح البخاري , و لعل ما يميز هذه الدراسة هو تركيزها علي عنصر واحد من عناصر التشبيه و هو الاداة , في محاولة لتقديم الجديد في هذا النوع من الدراسات لهدف ..

1- حصر ادوات التشبيه التي استخدمها البيان النبوي في صحيح البخاري بشكل احصائي دقيق (باستثناء الاحاديث المتكررة)..
2- التعرف علي استخدام الحديث الشريف لادوات التشبيه بشكل عام .
3- رصد استخدام الحديث الشريف لادوات التشبيه في اطار الحديث الواحد .
4- التعرف علي دلالات هذه الادوات , و دورها في نسج الصورة الفنية و اثراء الوصف.

([1]) النحل من الاية 25.

([2]) تاريخ الادب العربي العصر الاسلامي شوقي ضيف ص16.

([3]) البلاغة فنونها واقتنائها , د.فضل حسن عباس ص82.

مدخل :

يجدر بنا قبل الحديث عن أدوات التشبيه في صحيح البخاري – باعتبار الأداة – أن نتطرق إلى أدوات التشبيه ، ونسرد أنواعها ونبين استعمالاتها ونلقي الأضواء على آراء علماء البلاغة في تصنيفاتها .

فالمقصود بأداة التشبيه ، آلته التي يتوصل بها إليه ([1])، قال الطيبي : " هي ما يتوصل به إلى وصف المشبه بمشاركته المشبه به في الوجه "([2]).

وقديما سماها السكاكي : كلمة التشبيه ([3])، وسماها العضد الإيجي : صيغة التشبيه ([4]).

وعرفها عبد الفتاح لاشين بأنها : " كل لفظ يدل على المشابهة ....." ([5]) أما عبد العزيز عتيق فيعرفها بقوله : " كل لفظ يدل على المماثلة والاشتراك .... " ([6]).

ويعلل البلاغيون إطلاق اسم الأداة عليها أو كلمة التشبيه أو صيغة التشبيه كما سبق لكي تشمل الاسم والفعل والحرف([7]).

وأنواع أدوات التشبيه كثيرة ، وقد اختلف البلاغيون قديما وحديثا في تحديد أصنافها ونذكر من ذلك على سيبل المثال :

ابن أبي الأصبع الذي قال :" أدوات التشبيه خمسة : الكاف ، وكأن ، وشبه ،ومثيل ، والمصدر بتقدير الأداة " ([8]).

وقال الخطيب القزويني : " وأدواته : (الكاف) في نحو قولك : زيد كالأسد ، و(كأن) في قولك : زيد كأنه أسد . و(مثل) في نحو قولك : زيد مثل الأسد .

وما في معنى (مثل) كلفظة (نحو) وما يشتق من لفظة (مثل) وشبه ونحوهما"([9]).

وقال السبكي : " كل ما كان بمعنى (مثل) و (شبه) أداة ، فمن أدوات التشبيه : الكاف ، وكأن ، وياء النسب ، ومثل ، وشبه ، وشبيه ، ونحو ، وضريب ، وشكل ، ومضاه ، ومساو ، و محاك ، وأخ ، ونظير ، وعدل ، وعديل ، وكفء، ومشاكل ، وموازن ، ومقارع، وند ، وصنو ، وما كان بمعناها ، أو كان مشتقا منها، من فعل أو اسم ، وأشار الطيبي إلى أن من أدوات التشبيه (أفعل التفضيل) مثل زيد أفضل من عمرو ... ومن أدوا ت التشبيه (لعل)

([1]) أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم ، د.محمود موسى حمدان ص 15.

([2]) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان ص 212 .

([3]) مفتاح العلوم ص 189 .

([4]) شرح الفوائد الغياثية . طاشي كبرى زاده ص 214 .

([5]) البيان في ضوء أساليب القرآن ص 36 .

([6]) علم البيان ص 77 .

([7]) ينظر: أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم مصدر سابق ص 16.

([8]) تحرير التحبير ص 161 .

([9]) الإيضاح في البلاغة الخطيب القزويني ، ص 33 .

ففي البخاري في قوله تعالى : "وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون" ([1]) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، معناه : (كأنكم)" ([2]).

وقال العصام: "ولا يبعد أن يجعل من أدوات التشبيه صيغة (التفعيل) نحو :تحلم ، وتصبَّى ، وتشيَّخ ، فإنه في معنى صار حليما ، وصار صبيا ، وصار شيخا ... ولا يخفى أنه لم يصر شيخا بل صار كالشيخ في صدور أفعاله عنه وظهور صفاته منه " ([3]).

وقد علق على هذه الأدوات محمود موسى حمدان بقوله : " هذه الأدوات وإن اتفقت في إفادة اشتراك اثنين في صفة ، إلا أن لكل أداة منها خصيصة في هذه الإفادة راجعة إلى أصل مادتها اللغوية " ([4]).

وقد خلص في ختام دراسته لأدوات التشبيه في القرآن الكريم إلى أن الأداة محصورة في (الكاف) و (كأن) أما الكلمات الأخرى (مثل ، شبه ، شكل ، مساو .....) فإنها تدل على معناها اللغوي ، ويفاد بالمجيء بها الحكم بالمماثلة والمشابهة والمشاكلة والمساواة إلى غير ذلك ، إذا ليست أدوات تشبيه ، ولا يعد ما جاءت به فيه من التشبيه الاصطلاحي ، وعند اعتباره من التشبيه يكون ذلك على سبيل التوسع في حقيقة التشبيه أو في الاداة ([5]).

وفي هذه الدراسة – بعون الله – سيتم عند دراسة الأدوات الأخذ بمبدأ التوسع في حقيقة التشبيه ، واعتبار كل لفظ يدل على التشبيه أداة .

وهناك فروق بين بعض الأدوات أشار إليها أحمد المراغي قائلا : الفرق بين (الكاف) و(كأن) بوجوه :

أ– أن الكاف يليها المشبه به وكأن يليها المشبه ، نحو :

الحكيم كالجبل في سكونه كأنك سحبان فصاحة

وقد يلي الكاف غير المشبه به إذا كان التشبيه مركبا كقوله تعالى : " واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ..... " ([6]).

ب– التشبيه بـ(كأن) أبلغ من التشبيه بـ(الكاف) لما فيه من التوكيد ، لتركبها من : الكاف وأن .

جـ – أن (الكاف) دائما تدل على التشبيه ، و(كأن) تفيد التشبيه ، إذا كان خبرها جامداً أو مؤولا به نحو :

وكأن دجلة إذ تلاطم موجها ملك يعظم خيفة ويبجل

وتفيد الشك إذا كان خبرها مشتقا نحو :

كأنك قائم فيهم خطيبا وكلهم قيام للصلاة ([7])

([1]) سورة الشعراء الآية 129.

([2]) عروس الأفراح ، بهاء السبكي ، 392/3..

([3]) الأطول 2/ 88.

([4]) أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم ص 17.

([5]) ينظر :أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم ، ص 261.

([6]) سورة الكهف من الآية 44.

([7]) ينظر: علوم البلاغة ، ص 232.

ويرى بعض البلاغيين خلاف ذلك فيما يتعلق بإفادة (كأن) الشك ، استنادا على قول جمهور النحاة بأن هذه الأداة تفيد التشبيه على الإطلاق ، و إن معنى(كأن زيداً قائم) ، تشبيه حالة زيد غير قائم بحالته قائما ([1]).

وأنا أميل إلى هذا الرأي وسيتم تناول أداة التشبيه (كأن) في هذه الدراسة على هذا الأساس .

أدوات التشبيه في صحيح البخاري

جاء صحيح البخاري حافلاً بالكثير من الصور التشبيهيه المرسلة، وهي الصور التي تتضمن أداة من أدوات التشبيه .

وجاءت في مئة واثنين وستين نموذجاً، واشتملت على العديد من أدوات التشبيه المتنوعة ، سيتم بيانها على النحو الآتي:

1- الكاف :

وهي الأكثر شيوعا في الأحاديث النبوية – مجال الدراسة – تمثلت في مئة نموذج واتخذت أربعة أنماط:

أ. كاف مجردة ووردت في ثمانية وأربعين شاهداً.

ب. كاف مقترنة بما ووردت في سبعة وثلاثين شاهداً.

ج .كاف مقترنة بالمثل ووردة في خمسة عشر شاهداً.

د. كاف ملحق بها هاء التنبيه وذا الإشارية، ووردت في شاهد واحد.

وقبل الحديث عن هذه الشواهد يجدر بنا التعريف بهذه الأداة وبيان دلالاتها.

الكاف الجارة عند سيبويه حرف جر للتشبيه([2])، ويقول البلاغيون إن الكاف هي الأصل في الدلالة على التشبيه ،معللين ذلك ببساطتها ، أي كونها حرفاً واحداً لا تركيب فيها، لأن التركيب من شأنه أن يؤدي خصوصية في المعنى ، فالمركب يدل على أصل المعنى وزيادة كما هو الشأن في (كأن) أما الكاف فلا تدل إلا على الأصل وهو التشبيه([3]).

ومن ناحية أخرى فإن " التشبيه عندما يكون محذوف الأداة يتعين أن تكون الأداة المقدرة فيه (الكاف) لا غير ، و ذلك نظراً إلى أنها الأصل بالإضافة الى ذلك دلالتها على التشبيه مطلقاً ، فهي تصلح مع جميع الشواهد " ([4])

ومن الشواهد التي وردت في صحيح البخاري للكاف:

أ- كاف مجردة:

كما في قوله صلى الله عليه و سلم: "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وشبك أصابعه".([5])

([1]) ينظر : علم البيان ، ص 79 .

([2]) ينظر: الكتاب 217/1.

([3]) ينظر: اداة التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم ،ص 107.

([4]) المصدر السابق ص ، 206.

([5]) صحيح البخاري ح (481).

فقد بين هذا الحديث الشريف للناس مكانة المؤمن لأخيه المؤمن، وعظم الصلة التي تربط المؤمنين وحاجة كل منهما للآخر ، وأوضح بواسطة التشبيه الحالة التي تكون عليها الأمه عندما يتحقق مبدأ التكافل والتعاون والتآزر ، فتكون عندها كالبنيان، و لا يخفى على أحد ما تحمل هذه اللفظة من دلالات القوة والتماسك وإيحاءات المنعة.

وفي حديث آخر عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار".([1])

يقول أحد البلاغيين عن هذا التشبيه إنه: "قد جاءت فيه الكاف في مكانها المناسب، لتعني أن كل طرف قائم بذاته، ولكن الترغيب في الفضائل هو الذي يجعل الأول يصعد إلى مرتبة الثاني ، أما وجود مشبه به ثان ، فهو دلالة على عظم العطاء الرباني وإطلاقه وعدم تحديده".([2])

ويقول أيضاً عن الألفاظ التي تكوَّن منها التشبيه: "كلمة الساعي تنبئ في معناها على المشي السريع، فالحركة تومئ إلى الاهتمام الشديد ، ويصور الحرف (على)الإحاطة التامة بشؤون الأرملة والمسكين من كل جانب ،فأنى تلفتا وجدا هذا الساعي الفاضل الذي وصل إلى مرتبة المجاهد ، مع أن الجهاد من أحب الأعمال إلى الله ... وهذا هو التكافل الاجتماعي الإسلامي الذي ارتقى بالبشرية"([3]).

وفي حديث آخر جاءت الكاف لتشارك في صنع صورة تشبيهية مؤثرة ،تحمل الكثير من مشاعر التقزز، وتنفر الناس من الاتصاف بصفة الندم على.المعروف والتراجع عن الإحسان.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : "العائد في هبته كالكلب يقيئ ثم يعود في قيئه" ([4]) .

فمنظر الكلب وقد أكل حتي شبع وامتلأ جوفه بالطعام ثم يقئ ذلك الأكل ثم يعود فيأكل ذلك القيء منظر تشمئز منه النفوس وتقشعر الأبدان ، والغرض من هذا التشبيه كما يقول العيني : "تقبيح صورة ذلك الفعل ، أي كما يقبح أن يقيئ ثم يأكل كذلك يقبح ان يتصدق بشيء ثم يجره إلى نفسه بوجه من الوجوه" ([5]).

وفي بيان فضل الحج ومكانة هذه الفريضة ، وعظيم ثوابها يقول صلى الله عليه وسلم : " من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه" ([6]).

حيث نرى كيف عمل التشبيه على تحبيب المسلمين لهذه الشعيرة . ومع ما فيه من إيجاز وسهولة في الألفاظ ، فقد بلور المعاني الكبيرة في صورة تشبيهية مؤثرة لعبت فيها الأداة

([1]) المصدر السابق ح (5353)

([2]) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف ،د أحمد زكريا ص 176.

([3]) المصدر السابق ص 177 .

([4]) صحيح البخاري ، ح (2589).

([5]) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري 246/7.

([6]) صحيح البخاري ح (1521) .

(الكاف) دوراً مهما في إكمال المعنى ونسج الصورة (كيوم ولدته أمه) أي نقياً طاهراً لا يحمل أي أوزار ، صحيفته بيضاء . وفي هذا دعوة ملحة وفيه حافز قوي للإقبال على أداء الفريضة على وجهها الذي بينه التشبيه (من حج لله فلم يرفث ولم يفسق).

وفي الحديث النبوي الآتي نرى كيف استخدم النبي صلى الله عليه وسلم أداة التشبيه (الكاف) في صورتين متتاليتين ليحذر الناس من إيذاء بعضهم بالكلام القبيح . موضحاً حجم الأذية ومقدار الجرم . قال : "من حلف بغير ملة الإسلام فهو كما قال ، قال ومن قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم ولعن المؤمن كقتله ، ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله " ([1]) حيث شبه عليه السلام لعن المؤمن بالقتل ،وشبه اتهام المؤمن بالكفر بالقتل أيضاً ،ولعلنا نلمس في تكرار التشبيه ما يدل على التوكيد.

ب- كاف مقترنة بما :

قال عليه الصلاة و السلام عن سهل: "إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تتراءون الكوكب في السماء " ([2]).

تضمن هذا التشبيه بشرى للمؤمنين لما أعده الله لهم في الدار الآخرة من نعيم، وأوضح التفاوت بين أهل الجنة في ذاك النعيم ، وأن الجنة درجات فوق بعضها ، وقد ساعد التصوير التشبيهي على بيان ذلك التفاوت و التفاضل بين أهل الجنة ، بحيث يرى فريق منهم فريقا آخر في غرفات عالية ، بينهما مسافات طولة كما يرى أهل الأرض الكوكب البعيد في السماء، وفي هذا التشبيه – كما نلحظ – تحفيز كبير ودفع للمؤمنين إلى زيادة التقرب إلى الله بالعبادات و الطاعات طمعاً في بلوغ المراتب العليا .

و كذلك في قوله عليه السلام عن أبي هريرة رضي الله عنه : "أُمرت بقرية تأكل القرى[2] يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد"([3])

فهذا الحديث يبين فضل المدينة و مكانتها بين المدن ، وبواسطة الصورة التشبيهية أوضح الحديث أنها بقعة لا تقبل إلا الطيبين من الناس ، و أن المنافقين والأشرار عامة لا يجدون لهم فيها مكانا ولا يطيب لهم مقام، وهذه المدينة تمحص الناس وتطهرهم كما يطهر الكير خبث الحديد ، فنرى الصورة قد اقتربت للأفهام وترسخت في الأذهان من خلال توظيف بعض من مظاهر البيئة المألوفة لدى السامعين وهي كير الحداد وما يقوم به من أشغال التهذيب والتنقية من الشوائب للمعادن.

وفي حديث آخر نرى عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم في تقريب المعاني للأذهان.

([1]) صحيح البخاري ح (6652).

([2]) صحيح البخاري ح (6555)

([3]) معنى تأكل القرى فيه وجهان ، أحدهما أنها مركز الجيوش الإسلامية في أول الأمر فمنها فتحت القرى وغنمت أموالها ، و الثاني: أن أكلها و ميرتها تكون من القرى المفتوحة و إليها تساق غنائمها. ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي 150/9– الهامش.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال " إن الإيمان ليأرز([1]) إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها ".([2])

عن هذه الصورة التشبيهية الرائعة يقول الشريف الرضى : " المراد أن الإسلام يأوي إلى المدينة كما تأوي الحية إلى جحرها وأصل ذلك مأخوذ من التقبض والاجتماع ... فجعل عليه الصلاة و السلام المدينة كالوجار([3]) للإسلام يتقلص إليها و ينضم إلى حماها لأنها قطب مداره و نقطة ارتكازه ".([4])

ويقول ابن حجر العسقلاني إن الإسلام : "ينتشر كانتشار الحية من جحرها ، ثم إذا راعها شيء رجعت إلى جحرها ". ([5])

و الحديث الآتي نجد فيه استخدام النبي عليه الصلاة و السلام لأداة التشبيه (كما) في ثلاث صور متلاحقة ليحذر الناس من الدنيا وزخارفها قال : "فأبشروا و أملوا ما يسركم فو الله ما الفقر أخشى عليكم، لكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم ".([6])

ج كاف مقترنة بمَثَل :

هذا النوع من أدوات الشبيه يمثل – في الظن – جانباً من جوانب تأثير الأسلوب القرآني على الأسلوب النبوي.

ومن الأمثلة على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى "([7]).

فقد بين الحديث في أبهى صورة و أروع مثال المجتمع الإنساني المسلم يتراحم فيه المؤمنون، و يعطف بعضهم على بعض ، ونرى كيف عمل التشبيه بأركانه المختلفة على تجسيد المعنى وإيصال المضمون إلى المتلقي ، واختيار جسد الإنسان مشبها به له دلالاته العميقة و دوره في إقناع السامعين واستثارة إحساساتهم و مشاعرهم .

وكذلك في قوله عليه الصلاة و السلام : " مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فجعل الفراش و هذه الدواب تقع في النار".([8])

حيث شبه عليه السلام حاله مع الناس في حرصه على نجاتهم و مبالغته في زجرهم عن الإقدام على المعاصي مع حرصهم الشديد على الوقوع فيها، معرضين عن النصح غير ملتفتين

([1]) صحيح البخاري ح(1871).

([2]) أرزت الحية لاذت بجحرها ورجعت إليه ، تاج العروس ، مادة (أ رز)

([3]) صحيح البخاري ، ح (1876).

([4]) الوجار : جحر الضبع و الأسد والذئب و نحو ذلك , تاج العروس ، مادة (و ج ر).

([5]) المجازات النبوية ص 158.

([6]) فتح الباري 93/4.

([7]) صحيح البخاري ح(6011) .

([8]) المصدر السابق ح(3426)

للمنذر الذي يبصرهم بعاقبة إعراضهم ،شبه حالته هذه مع الناس بحال رجل أوقد ناراً، فانجذبت الفراشات و الحشرات إليها ، و ألقت بنفسها فيها دون هوادة و تبصر... و الفراش هم العصاة الذين ضلوا عن الجادة ، و ذلك المستوقد هو الرسول صلى الله عليه و سلم اتخذ جميع الطرق لزجر الأمة. ([1])

كما نرى استعمال أداة التشبيه (كمثل) في قول صلى الله عليه وسلم : "مثل المجاهد في سبيل الله و الله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة".([2])

د كاف ملحق بها هاء التنبيه وذا الإشارية (هكذا) :

وقد وردت هذه الأداة في نموذجين من الأحاديث النبوية المستهدفة في هذه الدراسة، ومثال على ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم عن سهل : " أنا و كافل اليتيم في الجنة هكذا، و أشار بالسبابة و الوسطى و فرج بينهما شيئا".([3])

هذه الأداة مركبة من (هاء التنبيه) و(الكاف) و(ذا)اسم إشارة ، يقول عبد العزيز أبو سريع : "هذه الاداة تفيد العادة والاستمرار، تقول :(هكذا يفعل الأبطال)، و(هكذا أعاقب) ، وقد تحذف منه هاء التنبيه فتقول : (كذا أنعم على من أصاحبه)، وقد تفيد معنى الشأن تقول:(ما بال فلان يفعل كذا ؟)، فتقول جواباً : (هو هكذا) ، أي هذا شانه و أمره، وتلزم هذه اللفظة صورة واحدة للمذكر و المؤنث و الجمع. وقد تفيد التساوي و المماثلة نحو قول الشاعر :

وما من ذلة غلبوا ولكن كذاك الأسد تفرسها الأسود

ومما يحتمل معنى الاستمرار ومعنى التساوي قول الشاعر :

هكذا يذهب الزمان ويفنى العلم فيه ويدرس الأثر([4])

ويضيف قائلا: " فإننا نستبعد كونها أداة تشبيه ، ونرى أنها تفيد معنى التساوي" . ([5])

وفي الرأي أن هذه الأداة تفيد التشبيه ، ولعل في الحديث الشريف السابق ما يدل على ذلك ،حيث إن النبي عليه السلام شبه نفسه وكافل اليتيم ومدى القرب بينهما في الجنة بإصبعي السبابة و الإبهام ومدى اقترانهما ببعض. ففي هذا التشبيه الرائع دعوة مفتوحة و نداء مستمر إلى رعاية اليتيم و الاهتمام به ، واستطاع التشبيه في جملة موجزة أن يرغب الناس في هذا العمل الإنساني و يحبب إليهم فعل الخيرات من خلال التصوير البليغ للجزاء الذي ينتظر كافل اليتيم ، ألا وهو التنعم بخيرات الجنة إلى جوار النبي عليه السلام و برفقته .

2- كأن:

وقد وردت هذه الأداة في ثلاثين نموذجا، وجاءت على نمطين :

([1]) ينظر : التشبيه في صحيح مسلم ، أحمد عيضة الثقفي ،ص 176.

([2]) صحيح البخاري ح (2787) .

([3]) صحيح البخاري ح (5304).

([4]) التشبيه البلاغي رؤية حديثة لقواعده وقضاياه ص47.

([5]) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

أ- كأنَّ (بالنون الثقيلة)، ووردت في ثلاثة وعشرين شاهدا.

ب-كأنَّ(مكفوفة بما)، ووردت في سبعة شواهد.

والملاحظ من خلال تتبع الأحاديث – مجال هذه الدراسة- أنه لم ترد أداة التشبيه كأن (المخففة).

وقبل التطرق إلى شواهد لهذه الأداة نتعرض لشيء مما قيل في حقيقتها، يقول عبد العزيز أبو سريع في سياق مناقشته لبعض آراء العلماء: "انقاد الفكر البلاغي – كعادته- خلف الفكر اللغوي، فحكى شراح التلخيص فيها رأيين:

أولهما: أنها بسيطة بمعنى أنها موضوعة على هذه الصورة، وهذا رأي بعض البصريين، وهو ما أفهمه أيضا من كلام الخطيب القزويني.

الثاني: أنها مركبة من الكاف وإنٍ المشددة، وهذا رأي سيبويه وابن جني والزمخشري وأبي حيان، حيث قالوا إن قولنا: كأن زيداً الأسد، أصله إن زيداً الأسد، فلما قدمت الكاف فتحت الهمزة لفظا، والمعنى على الكسر، ومن هنا قالوا إنها تفيد تأكيد التشبيه"([1]).

ولهذه الأداة مزية تميزها عن باقي الأدوات ذكرها الإمام عبد القاهر الجرجاني قائلا: "فإن قلت: فإذا أفادت هذه- أي العبارة- ما لاتفيده تلك فليستا عبارتين عن معنى واحد، بل هما عبارتان عن معنيين اثنين، قيل لك: إن قولنا (المعنى) في مثل هذا يراد به الغرض ، والذي أراد المتكلم أن يثبته أو ينفيه، نحوٍ أن نقصد تشبيه الرجل بالأسد فنقول: زيد كالأسد، ثم تريد هذا المعنى بعينه، فنقول: كأن زيداً الأسد، فنقيد تشبيهه- أيضا- بالأسد، إلا أنك تزيد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الأول، وهي أن تجعله من فرط شجاعته، وقوة قلبه، وأنه لا يروعه شيء بحيث لا يتميز عن الأسد، ولا يقصر عنه حتى يتوهم أنه أسد في صورة آدمي. وإذا كان هذا

كذلك؟ فانظر هل كانت هذه الزيادة وهذا الفرق إلا بما توخى في نظم اللفظ وترتيبه، حيث قدم (الكاف) إلى صدر الكلام مع (أن)....." ([2]).

ومن الأمثلة الرائعة لهذه الخاصية ما ورد في القرآن الكريم بشأن بلقيس في قوله تعالى: "قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون، فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو....." ([3]). حيث ذكر ابن المنير أن بلقيس عدلت في إجابتها عن مطابقة الجواب للسؤال المطروح عليها بهكذا، فلم تقل هكذا هو(لنكتة حسنة) هي أن عبارة (هكذا هو) تفيد الجزم بتغاير العرشين، وإن كانت تثبت التشبيه بينهما، أما عبارة التلاوة فإنها تثبت قوة الشبه حتى تحدث التشكيك في التغاير بين الأمرين([4]) ويذكر الزمخشري أن سليمان لم يطرح عليها

([1]) التشبيه البلاغي رؤية حديثة لقواعده وأصوله، ص48.

([2]) دلائل الإعجاز، ص 168.

([3]) سورة النمل الآيتان 42، 43.

([4]) حاشية ابن المنير 3 / 150.

السؤال بقوله: أهذا عرشك؟ بل قال: أمثل هذا عرشك؟ وهو ما جاء في التلاوة بلفظ " أهكذا عرشك " لئلا يكون هناك تلقين الإجابة ([1]).

ومن خلال الشواهد الآتية سنرى بلاغة هذه الأداة، ونقف على شيء من روعتها.

أ- كأن:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال:"كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"([2]).

فقد صور الحديث الشريف ما يجب أن يكون عليه المسلم الحق، واستطاع بواسطة التشبيه أن يوضح حقيقة العلاقة بين الإنسان والحياة الدنيا.

ولا يخفى على أحد ما يحمله المشبه به من دلالات نفسية تحمل معنى الزهد في الشيء وقلة التعلق به، وأسهمت الأداة (كأن) في تقوية المعنى المراد وزيادة تأكيده بحيث تضع الإنسان المسلم في هذه الدنيا موضع الغريب أو عابر السبيل.

يقول ابن حجر العسقلاني عن الطيبي : " ليست (أو) للشك بل للتخيير و الإباحة ، والأحسن أن تكون بمعنى (بل) ، فشبه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يؤيه ولا مسكن يسكنه ثم ترقى وأضرب عنه إلى عابر السبيل لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل ألقاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مرديه ومفاوز مهلكة وقطاع طريق ، فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة ولا يسكن لمحة " ([3]).

ونرى (كأن) أيضا في قوله عليه السلام في إمامة العبد والمولى : " اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم حبشي كأن رأسه زبيبة "([4]).

فتشبيه رأس الحبشي بزبيبة – كما يذكر ابن حجر – لصغر رأسه ، وذلك معروف في الحبشة ، أو لسواده ، أو لقصر شعر رأسه وتفلفله([5]).

ويقول أيضا : " ووجه الدلالة على صحة إمامة العبد أنه إذا أمر بطاعته فقد أمر بالصلاة خلفه " ([6]).

تبيان وتأكيد صورة الحبشي المعني في الحديث . ودور الصورة التشبيهية زيادة الإيضاح وتتميم المعنى .

فلو قيل : اسمعوا وأطيعوا وأن استعمل عبد حبشي ، لفهم المعنى ، ولكن مجيئ التشبيه (كأن رأسه زبيبة) قوى المعنى وزاده تثبيتاً .

([1]) تفسير الكشاف ص 400.

([2]) صحيح البخاري ح (6416). .

([3]) فتح البارئ بشرح البخاري 8/14.

([4]) صحيح البخاري ح (693).

([5]) ينظر : فتح الباري 234/2

([6]) المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

وفي الحديث الآتي نرى استخدام الأسلوب النبوي للتشبيه بشكل متنوع ، تنوعت فيه الأداة وتنوع فيه النمط ، ونجم عن ذلك – في الظن – تنوع في الدلالة ، وفي الأثر على السامعين.

عن النبي صلى الله عليه وسلم : "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا " قال شهاب بيده فوق أنفه ثم قال : " لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة

ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال : أرجع إلى مكاني ، فرجع فنام نومة ، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده ". ([1])

ويتمثل التنوع في الأداة باستعمال (كأن) و (الكاف) ، والتنوع في النمط يتمثل في التشبيه المرسل في قوله : " إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يوشك أن يقع عليه " وقوله: " إن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا" . والتشبيه الضمني في قوله: "لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً..... "

ب كأنما :

تعد كأن المكفوفة بما واحدة من أدوات التشبيه التي استخدمت في الأسلوب النبوي في صحيح البخاري بقلة ، حيث إنها لم ترد إلا في ثلاثة أحاديث – كما لوحظ – إلا أنها وردت بشكل مكثف في أحدهم ،في قوله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة: " من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة([2])، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر " ([3]).

الاغتسال للجمعة ثم التبكير إلى المسجد ، مبيناً فضل ذلك مرغبا الناس ، وقد أوضح التشبيه مقدار حال المشبه من خلال تزايد المشبه وتناقص المشبه به تدريجيا : البدنة ، البقرة ،الكبش الأقرن ، الدجاجة ، البيضة , وفي ذلك تحبيب للسامع واستمالته إلى المعنى ، ويدل على بلاغة الرسول الكريم وعبقريته في الدعوة إلى الخير .

3- مثل :

وردت (مثل) في اثنين وعشرين نموذجاً ، وجاءت على أربعة أنماط :

1- مثل مجردة ، ووردت في ستة عشر شاهداً .

2- مثل ملحق بها ما ، ووردت في أربعة شواهد .

([1]) صحيح البخاري ، ح (6308).

([2]) البدنة من الإبل والبقر، التاء للوحدة لا للتأنيث ، سميت بذلك لعظمها وضخامتها وقيل : لأنها تبدن أي تسمن ، تاج العروس ، مادة (ب د ن) .

([3]) المصدر السابق ، ح (881).

3- مثل في صيغة الجمع (أمثال)، ووردت في شاهد واحد .

4- مثل في صيغة الفعل المضارع (يتمثل) ووردت في شاهد واحد .

وقبل الحديث عن هذه النماذج نعرج على هذه الأداة، ونتعرف على خصائصها ودلالاتها.

يقول أبو هلال العسكري: "المعنى الذي تدل عليه (مثل)كون المحكوم عليه بالمماثلة متفقاً مع مايماثله في جميع الجهات التي يصير بالاتفاق معه فيها على مثاله، فيكونان جنساً واحداً يسد أحدهما مسد الآخر"([1]) .

وذكر ابن منظور أن المماثلة تكون بين المتفقين في الجنس([2]).وعند الاختلاف في الجنس يكون المجيء بها على سبيل المجاز([3]) ويكون تمام المماثلة وتحققها عند الاتفاق في بقية الصفات، لأن الشيء لا يكون مثل غيره في الحقيقة إلا إذا أشبهه في جميع الوجوه([4]) واستثنى بعض العلماء ما يقع به التعدد([5]).

وذكر سيبويه أن القول: مررت برجل مثلك يحتمل وجوها ثلاثة: النعت أي:هو رجل كما أنك رجل، ويكون نعتا أيضاً على أنه لم يزد عليك ولم ينقص عنك في شيء من الأمور، ومثله: مررت برجل مثلك، أي صورته شبيهة بصورتك([6]).

فالوجه الأول: الاتفاق في الجنس، والثاني: الدلالة على المساواة . والثالث: الدلالة على المشابهة في الصورة المحسوسة، ثم يبقى بعد ذلك تعدد وجوه الاتفاق إلى أن تأخذ المماثلة كمالها حتى يمكن أن يسد أحدهما مسد الآخر([7]).

وقد جاء الحديث الشريف مفيداً هذه المعاني والدلالات ،ولعلنا نتلمس بعضها من خلال هذه الشواهد .

أ- (مثل) مجردة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قال سبحان الله وبحمده مئة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر"([8])

فقد رغَّب هذا الحديث للناس ذكر الله، وبين بعضاً من فضائل الذكر متمثلة في المغفرة وتكفير السيئات، وهذا من أعظم ما يتمناه المسلم الحق . ومع أن المعنى واضح، ومضمون الحديث وجوهره في متناول السامعين بقوله عليه السلام:(من قال سبحان الله وبحمده مئة مرة حطت خطاياه). فإني أرى التشبيه قد جاء لزيادة الترغيب وتأكيد الكلام ودعماً لما سبق قوله:

([1]) ينظر :الفرق في اللغة، ص147 .

([2]) ينظر: لسان العرب، مادة (م ث ل) .

([3]) ينظر: الأكسير، ص132 .

([4]) ينظر: الفروق في اللغة ،ص144 .

([5]) ينظر: الكتاب سيبويه ، 423/1 .

([6]) ينظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها .

([7]) ينظر: أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم ،ص 23.

([8]) صحيح البخاري ،ح (6405) .

(وإن كان مثلٍ زبد البحر)، وبهذا التصوير الجميل يزداد المؤمن اطمئناناً بعفو الله تعالى ويزداد المعنى رسوخاً في نفسه وعقله، حيث يقوده خياله إلى المقارنة والمماثلة بين (زبد البحر) المشبه به و (خطاياه) المشبه،ونرى أداة التشبيه (مثل) قد أخذت مكانها المناسب لتصنع هذه المماثلة .

وفي حديث آخر نجد صورة تشبيهية أخرى استخدمت فيها أداة التشبيه (مثل) لبيان مقدار المشبه، والمشبه به مستمد من عناصر البيئة الجغرافية للحجاز وهو جبل أحد، ودلالته على المساواة واضحة للعيان .

يقول عليه السلام: "لو كان لي مثل أحد ذهبا ما يسرني ألا يمر على ثلاث وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين "([1]) .

ونجد في حيث آخر تكراراً لطرفي التشبيه السابقين مع اختلاف في السياق، يقول عليه السلام: "لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"([2]).

ونرى أيضاً استعمال أداة التشبيه (مثل) لتدل على الاتفاق في الجنس في الحديث الشريف: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيصم عني وقد وعيت عنه ما قال ،وأحياناً يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول"([3]).

يقول ابن حجر العسقلاني في شرحه : "الصلصلة في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين، والجرس: الجلجل الذي يعلق في رؤوس الدواب، وقال الكرماني:الجرس ناقوس صغير .

فإن قيل: المحمود لا يشبه المذموم، إذ حقيقة التشبيه إلحاق ناقص بكامل، والمشبه الوحي وهو محمود، والمشبه به صوت الجرس وهو مذموم، لصحة النهي عنه والتنفير من مرافقة ماهو معلق فيه،والإعلام بأنه لا تصحبهم الملائكة، فكيف يشبه ما فعله الملك بأمر ينفر من الملائكة ؟.

والجواب: أنه لا يلزم في التشبيه تساوي المشبه بالمشبه به في الصفات كلها بل ولا في أخص وصف له، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما، فالمقصود هنا بيان الجنس، فذكر ما ألفت السامعون سماعه تقريباً لأفهامهم .

والحاصل أن الصوت له جهتان: جهة القوة وجهة الطنين، فمن حيث القوة وقع التشبيه به، ومن حيث الطرب وقع التنفير عنه وعلل بكونه مزمار الشيطان"([4]).

ب- مثل ملحق بها ما :

([1]) المصدر السابق ، ح (2389) .

([2]) المصدر نفسه ، ح (3673).

([3]) صحيح البخاري ، ح (8) .

([4]) ينظر : فتح الباري يشرح البخاري 22/1 .

كما في قول صلى الله عليه وسلم لما أشرف على المدينة: "اللهم إني أحرم ما بين جبليها مثلما حرم به إبراهيم مكة، اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم"([1]).

ج- مثل في صيغة الجمع :

يقول أبو حيان عن صحة مجيء مثل مفردة ومثناة ومجموعة مع كون المحكوم عليه بها مثنى أو جمعاً، مع كون إفرادها على نية التثنية أو الجمع يقول : "ومثل يوصف بها المفرد والمثنى والجمع، كما قال تعالى : "أنؤمن لبشرين مثلنا" ([2]).

وتجوز المطابقة في التثنية والجمع كقوله تعالى : "ثم لا يكونوا أمثالكم" ([3]).

وقوله تعالى: "وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون"([4]) وإذا أفرد وهو تابع لمثنى أو مجموع فهو بتقدير المثنى والمجموع، أي مثلين وأمثال..." ([5]).

ويشير محمود موسى حمدان إلى نكتة المجيء بمثل مجموعه في القرآن الكريم بقوله: "والذي يبدو من الإحساس بالمعنى لهذه الشواهد بمعونة القرائن أنها جاءت بصيغة الجمع للمعاني الآتية : الأول: تضعيف العدد كما في قوله تعالى: "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون"([6]) ..... ولو قيل في غير القرآن الكريم: عشر حسنات مثلها لجاز، لكن المجيء بالجمع فيه مراعاة لتكثير الجزاء وتضعيفه .

الثاني: الدلالة على الجنس كقوله تعالى: "وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم"([7]).

الثالث: إظهار المماثلة بين أفراد الطرفين :

كقوله تعالى: "وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون"([8]) فلو قيل في غير القرآن الكريم: وحور عين مثل اللؤلؤ المكنون، دلت (مثل)عندئذ على مماثلة الحور للؤلؤ، لكن مجيئ صيغة الجمع (أمثال) في الآية الكريمة دل على تعدد الصور المشاهدة التي حصل التمثيل بها ، فالكلمة عندئذ دلت على جهتين من المماثلة: مماثلة الحور للؤلؤ بمادة الكلمة (مثل)ومماثلة كل حورية لأختها بصيغة الجمع([9]).

ونلمس هذه اللطائف لاستعمال(مثل)بصيغة الجمع في الحديث الشريف: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوما يحدِث وعنده رجل من أهل البادية: "أن

([1]) صحيح البخاري ، ح (5425).

([2]) سورة المؤمنون، الآية 47.

([3]) سورة محمد ، الآية 38 .

([4]) سورة الواقعة ، الآيتان 22- 23 .

([5]) البحر المحيط ، 208/5 .

([6]) سورة الأنعام ، الآية 16 .

([7]) سورة الأنعام ، الآية 38 .

([8]) سورة الواقعة، الآيتان 22 – 23 .

([9]) ينظر : أدوات التشبيه في القرآن الكريم ، ص 65 .

رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال له : ألست فيما شئت قال : بلى ولكني أحب أن أزرع فقال : فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال . فيقول الله دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء"([1]) فقال الأعرابي : والله لا تجده إلا قرشيا أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع فضحك النبي صلى الله عليه وسلم .

د- مثل في صيغة الفعل المضارع :

ونجد هذه الأداة في الحديث الشريف : عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن همام رضي الله عنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول"([2]) أي يكون في الصورة من جنس الرجال له من صفاتهم ومثل كلامهم ولغتهم([3]). وفي ذلك دليل على أن الملك يتشكل بشكل البشر([4]).

إضافة إلى ما سبق، فإنه قد لوحظ استعمال الحديث النبوي في مجال هذه الدراسة لأدوات تشبيه أو صيغ تشبيه أخرى غير (كاف وكأن ومثل)،ووردت في حالات مفردة وهي :

1- أشبــه :

ونجدها في قوله صلى الله عليه وسلم : "ليلة أسري بي رأيت موسى وإذا رجل ضرب رجل كأنه من رجال شنؤة ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس وأنا أشبه ولد إبراهيم به .ثم أتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر فقال: اشرب أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته، فقيل: أخذت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك"([5]).

ونلاحظ في الحديث أنه استخدم فيه ثلاثة أساليب للتشبيه، وكل أسلوب مختلف عن الآخر من حيث أداة التشبيه، فقد شبه النبي عليه السلام موسى عليه السلام كأنه من رجال شنؤة([6]) وشبه حالة عيسى عليه السلام بقوله: كأنما خرج من ديماس([7]) وشبه نفسه عليه الصلاة والسلام بسيدنا إبراهيم عليه السلام بقوله: أنا أشبه ولد إبراهيم به .

2- قريب :

([1]) صحيح البخاري ،ح(2348) .

([2]) المصدر السابق، ح(2) .

([3]) ينظر : أدوات التشبيه في القرآن الكريم ، ص21 .

([4]) ينظر: فتح البارئ يشرح البخاري ، 33/1 .

([5]) صحيح البخاري ، ح (3394) .

([6]) شنؤة ، قبيلة قديمة في اليمن عرفت بإبائها على نفسها الظلم والعدوان .

([7]) المكان المظلم ، تاج العروس، مادة (د م س) .

ووردت في قول النبي صلى الله عليه وسلم:" ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار ،ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور، مثل([1]) أو قريب من فتنة الدجال ..." ([2]).

3-بمنزلة :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أما بعد فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام فمن ولي منكم شيئا يضر فيه قوما وينفع فيه آخرين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم([3]).

ففي قوله عليه السلام عن الأنصار: (يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام) دلالة واضحة على التشبيه . أي الأنصار في الناس كالملح في الطعام، ويشير ابن حجر العسقلاني إلى أن وجه الشبه هو القلة([4]).

4-على صورة :

ونرى هذه الصيغة في الحديث عن أبي حازم عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ليدخلن الجنة من أمتي سبعون أو سبعمئة ألف – لا يدري أبو حازم أيهما قال – متماسكون آخذ بعضهم بعضا لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر "([5]).

فالتعبير (على صورة) يفيد التشبيه، والمعنى – كما يبدو – وجوههم كالقمر ليلة البدر، ووجه الشبه هو الوضاءة وقوة الإضاءة والإشراق والروعة ... وقد وردت هذه الصيغة في أكثر من موضع كما سيأتي .

5-على (بمعنى مثل) :

قال صلى الله عليه وسلم: "إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولِون ولا يتغوطِون ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطِهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة الإنجوج عود الطيب وأزواجهم الحور العين على خلْق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء"([6]).

حيث وصف الحديث أول زمرة يدخلون الجنة أنهم على صورة القمر ليلة البدر، ووصف الذين يلونهم بقوله : (على أشد كوكب دري في السماء)، ولعلنا نلمس التشبيه في ذلك أي :

([1]) التخيير من كلام الراوي .

([2]) صحيح البخاري ، ح (184) .

([3]) المصدر السابق ،ح (3628) .

([4]) فتح الباري ، 160/7 .

([5]) صحيح البخاري ح (6554) .

([6]) صحيح البخاري ح (3327) .

كأشد كوكب دري في السماء إضاءة، ويأتي بعد ذلك تشبيه آخر متمثل في قوله :على صورة أبيهم آدم.

جدول توضيحي إحصائي لأدوات التشبيه في صحيح البخاري

أداة التشبيه	الأنمـــــــــــــاط					المجمـوع	المجموع الكلي
كاف	كاف مجردة	كاف مقترنة بما	كاف مقترنة بمثل	كاف مقترنة بها وذا الإشارة		102	162
	48	37	15	2			
كأن	كأن مشددة	كأن مخففة	كأن مقترنة بما	ـــــ		30	
	23	0	7	ـــــ			
مثل	مثل مجردة	مثل مقترنة بما	مثل بصيغة الجمع	مثل بصيغة المضارع		22	
	16	4	1	1			
صيغ أخرى	على صورة	أشبه	قريب	على	بمنزلة	8	
	3	1	1	1	1		

من خلال ما سبق نخلص إلى عدة نتائج أهمها:

1- الصور التشبيهية في صحيح البخاري – باعتبار الأداة – وردت على النوع المرسل والبليغ ،إلا أن التشبيه المرسل هو السائدة، فقد تجاوز المئة وستين نموذجا، بينما التشبيه البليغ جاء في أربعة وثلاثين نموذجا .

2- الأحاديث النبوية في صحيح البخاري خلت من الصور التشبيهية المؤكدة، ولعل مرد ذلك إلى التأثير الشديد لأساليب التشبيه في القرآن الكريم على التشبيهات النبوية، فقد

ذكرت إحدى الدراسات الخاصة بالتشبيه القرآني ([1]) أنه لم يرد في كتاب الله إلا نموذج واحد لهذا النوع من الصور، وهو قوله تعالى : " ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير ۖ وكان الإنسان عجولا "([2]) .

3- استعمل الحديث الشريف أدوات التشبيه في الكثير من النماذج تجاوزت المئة وستين ، متمثلة في: (الكاف) و(كأن) و(مثل) بصيغها المختلفة، والملاحظ أن أداة التشبيه (الكاف) هي السائدة، كما وردت صيغ أخرى لأدوات التشبيه بنسب قليلة .

4- تنوع استخدام الحديث الشريف لأدوات التشبيه في إطار الحديث الواحد، نجم عن ذلك تنوع في الدلالة وفي الأثر على السامعين، كما استخدم بعض الأدوات بشكل متكرر ومكثف ضمن الحديث الواحد .

5- لم تتم ملاحظة أي صلة بين استعمال الحديث الشريف لنوعي التشبيه (المرسل والبليغ) وبين مقتضى الحال وطبيعة السامعين، فقد استعمل التشبيه بالأدوات وبغير الأدوات في مختلف المقامات ولشتى أنواع المتلقين .

([1]) نمطية الصورة التشبيهية في الخطاب القرآني، د أحمد بلخضر ص21 .

([2]) سورة الإسراء الآية 11 .

قائمة المراجع والمصادر

1- القرآن الكريم.
2- أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن، د. موسى حمدان، مكتبة وهبة القاهرة، ط2، 2007م.
3- الأطول، العصام، مطبعة أحمد كمال.
4- الأكسير في علم التفسير، الطوفي، تحقيق د. عبد الغفار حسين.
5- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح عبد المنعم خفاجي، دار الفكر، دمشق، ط2، 1985.
6- البيان في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985.
7- تاج العروس محمد مرتضى الزبيدي.
8- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، الطيبي تحقيق د. هادي عطية، دار النهضة العربية.
9- تحرير التعبير، أبن أبي الأصبع، تحقيق حفني شرف، القاهرة، 1983م.
10- التشبيه البلاغي رؤية حديثة لقواعده وقضاياه، د. عبد العزيز أبو سريع، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2012م.
11- التشبيه في صحيح مسلم، احمد عيضة التثقفي، جامعة أم القرى.
12- تفسير الكشاف، الزمخشري، مطبعة بابي الحلبي.
13- حاشية ابن المنير.
14- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قراءة محمود شاكر، مكتبة الخانجي، الطبعة1، 1989م.
15- شرح الفوائد الغياثية، طاشي كبرى زاده، دار الطباعة العامرة.
16- صحيح البخاري، المطبعة البهية المصري، ط1، 1434هـ.
17- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.
18- الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، د. أحمد زكريا ياسوف.
19- عروس الأفراح، بهاء الدين السبكي.
20- علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت.
21- علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، المطبعة العربية، مصر.
22- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري.
23- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، المطبعة التوفيقية، القاهرة.
24- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط3.
25- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، ط1.
26- المجازات النبوية، الشريف الرضي.
27- مفتاح العلوم أبو يعقوب السكاكي، تحقيق نعيم زروزور، دار الكتب العلمية، بيروت.